

## ٢ - الدكتور محمد اقبال

أكبر شعراء الهند المسلمين في العصر الحاضر

« ان صوتي قد أوقد النار السديمة في بلاد إيران  
ولكن الرب لا يرفون شيئاً عن تنهات الشبية »  
( اقبال )

بقلم السيد أبو النصر أحمد الحسيني الهندي

حينما ننعم النظر في شعر اقبال واتصافه بميزات خاصة في الأزمان المختلفة نجد أنه يتمتع الآن بدور ثالث . فقد قطع قبله دورين : أولهما دور نشأه ، حين كان اقبال لا يزال فتى يانماً وطالباً بالمدسة . فقد بدأ اقبال يقول الشعر باللغة الأردية وهو في صباه ، فكان ينال به استحسان زملائه الطلبة ، ويجمعهم حوله اغتباطهم بحمته ذكائه وتفوقه عليهم في الشعر . فكانت شهرة اقبال في الشعر بادي ذى بدء محصورة بين أترابه وأقرانه ، فلما انتقل من كلية سيالكوت إلى كلية الحكومة بلاهور بدأ يشترك في مجالس الشعراء ويقول القصائد للاحتفالات السنوية بلجمعية حماية الاسلام الشهيرة بلاهور ، فدفع صيته بين الخاص والمأم ينتهي هذا الدور لشعر اقبال إلى سنة ١٩٠٥ ، أي قبل سفره إلى أوروبا ، ويمتاز شعره فيه بسمة الخيال ، وابتكار الماني ، ولكنه مجرد عن دقة الفكر والتعمق بالنسبة إلى شعره في أدوار أخرى ، ومعظمه باللغة الأردية ، تتجلى فيه روح الحب وطلب

إليها النقد التي يشرح ويفصل دون أن يُزج في دائرة الفن ودون أن يصبح علماً من العلوم . ذلك هو النقد الذي يعالج الأدب مثلما يعالج الأدب نفسه الحياة ، أعني عن طريق الخيال والمطافة

كتب ( تشارلس لام ) يقول :

( لاني أفضل المطافة على العلم ) وفي يقيني أن كل من له صلة بالأدب ولا يفعل مثلما يفعل ( لام ) يكون مخطئاً في حق نفسه وفي حق صناعته أودنه ؟

محمد رشاد رشدي

بكالوريوس بامتياز في الأدب الانجليزي

الجمال وترحيب العشق ، وأكبر ميزة لهذا الدور أنه دور أمل لشيء غير معلوم ، ففيه تتوق روح الشاعر إلى الجهول ، وتنزع إلى الغائب ، وتضطرب ، كما يظهر لك من ترجمة بيت من أبيات هذا الدور فيما يلي ، قال :

« أنا طالب النور ، أما قلقي في معمورة هذا العالم

أما مثل الطفل الصغير في ظلام الوجود الحالك مضطرب كالزئبق »  
وأما الدور الثاني فهو الزمن الذي قضاه الدكتور في أوروبا ،

أي من سنة ١٩٠٥ إلى سنة ١٩٠٨ . وهذا الدور من شعر الدكتور أقل إنتاجاً من الدورين الآخرين ، ويمتاز من الأول بأن أثر مشاهدات أوروبا بادر فيه ، ولكن روح الحب ، وطلب الجمال ، وترحيب العشق لا تزال منجلية فيه كما كانت في الدور الأول . وقد حدثت فيه حادثة ، وهي أن الأبحاث العالمية سطت مرة بنفسية الشاعر ، فأراد أن يترك الشعر ويتوب عنه وينصرف إلى العلم ، فثمه عن ذلك صديق قديم له كان حينئذ في لندن ، وحاول اقناعه فلم يقتنع ، وأخيراً اتفقا على أن يستشيراه فيه أستاذه السر آرنلد . فأبد آرنلد رأى صديقه فعدل عن ارادته . وأكبر ميزة لهذا الدور أن بدأت أفكاره الشعرية تملو وتتسع حتى ضاق عنها نطاق اللغة الأردية الحديثة السن فقال إلى الفارسية وبدأ يعبر بها عن الهامه الشعري

وأما الدور الثالث فينتهي من بعد رجوع الدكتور من أوروبا إلى الهند ، أي من سنة ١٩٠٨ إلى الآن ، وهو الأهم ، إذ فيه تدرج شعره في معارج الكمال وتسم سنام المجد وبلغ من دقة الماني وعمق الفكر وحسن البيان غاية لم تبلغها الآمال ولانالها الأمانى . وفيه حلت السكينة والطمأنينة في روح الشاعر محل التوقان والاضطراب : كأنها أدركت ذلك الغائب المجهول الذي حنت إليه طويلاً ونزعت إليه سنين ، وفيه خف عن نفسية الشاعر سلطان المحبة والجمال ، وقام مقامه توفان الحكمة والكمال ، وفيه جادت قريحة الشاعر بما لم يجد في الدورين السابقين ، إذ ظهرت إلى الآن سيمة دواوين ، ونحن ندعو الله أن يمد في حياته ويوفقه أكثر من ذلك ، وفي هذا الدور أيضاً تمكن الشاعر من إبراز معالم فلسفته في شعره للمأم ، وفيه تحققت رسالة شعره للعالم الاسلامي والشرق إذ كان في نفسه تتساجل دوخان : روح

بالفكر الشرقى - الهندي والایرانی - بجلبه وخفيه وقاريحه  
وتقدمه ، كما هو عالم متبحر في الفكر الغربي بجميع أدواره  
ونحولانه ، سواء كان عند اليونان أو الرومان ، أو الأنجليز أو  
الألمان ، أو فرنسا أو أمريكا . وقد سبر الدكتور فور الفكر  
السامى العربى أيضاً وبخاصة الاسلامى منه كما تحيط الثام عن ذلك  
مصنفاته ، وقد أشار إليه هو أيضاً في خطاب حيث قال :

« أنا قد صرفت معظم حياتى في دراسة فقه الاسلام

- وسياسته وحضارته ومدنيته وأدبه ؛ فبناءً على دراستى الطويلة  
هذه وعلى الملائمة الخاصة التى لى بروح تعليم الاسلام أعتقد أنى  
على بصيرة أقدر بها أن أحكم على منزلة الاسلام في العالم من حيث  
الحقيقة العامة »

والدكتور حائز في جميع هذه العلوم والمعارف درجة الاجتهاد  
وأما العناصر التى ترجع إلى البيئته فهى صنفان : الاجتماعية  
والجغرافية . أما الاجتماعية فقد ولد الدكتور في مجتمع اسلامى  
وتربى فيه ودرس حاضره وماضيه ، فهو كأحد أركانه من محبيه  
الأوفياء ، وعشاقه الصادقين ، ومن أكبر الطامحين إلى خيره  
ومجده ، كما هو من كبار المعارفين بحقيقته وصلحيته . وهذا  
الحب ، والمشق ، والطموح ، والمعرفة كعناصر البيئته الاجتماعية  
متجلية في نفسية الشاعر وشعره ، وليس هذا التجلى عن طائفة  
وتعصب ، بل عن علم وعقل ، كما سيظهر لك من المقال القدى  
سنخصصه لذلك في المستقبل إن شاء الله

وأما عناصر البيئته الجغرافية . فقد ولد الدكتور في مقاطعة  
بنجاب وتربى فيها . وبنجاب أخصب المقاطعات الهندية في سفح  
جبال هالايا تجرى من تحتها خمسة أنهار . فهى بهوائها المعتدل  
ومناظرها الجميلة التى تُفرح قلوب الشاهدين وتؤنس أبصار  
البصرين ، تملأ النفس بالمؤثرات القوية التى تربى الذوق وتقوى  
ملكة الشعر ، وتغذى الفكر . تحسن الذوق ، وحب الجمال ،  
والتصرف في فنون الشعر ، وجولات الفكر التجلية في شعر  
الدكتور ونفسيته فيها أثر للبيئته الجغرافية

أما شعر إقبال من حيث الفن فمنتجحدث عنه في مقال نال

السيد أبو النصر أحمد الحسينى الرهنوى

الحب للجمال والمحبذ للمشق ، وروح السلم الشرقى المتحمس  
النائر . فكان في الدورين الأولين الحظ الأوفر للأولى وفي هذا  
الدور الثانية

حيثما نحاول البحث عن العناصر التى تكونت منها نفسية  
الشاعر وشعره نجد أنهما قد تكونا من عناصر جمة ، منها ما هو  
هبة من الله كالعبقرية والذكاء ، ومنها ما هو ورانى غير  
كسبى ، ومنها ما هو ثقافى كسبى ، ومنها ما يرجع إلى البيئته  
سواء أكانت جغرافية أم اجتماعية . فهذه الأصناف الأربعة من  
العناصر هى دعائم نفسية الشاعر ووطائد شعره

أما العناصر الموهوبة مثل العبقرية وغيرها فلا يقدر الانسان  
على الكشف عن حقائقها ، ولا على الفحص عن دقائقها ،  
وما يقدر عليه هو وصف ظواهرها بالمقارنة . فإذا قارنا ظواهر  
عبقرية الدكتور وذكائه بالشعراء الآخرين نجد أنه فريد زمانه ،  
وقريم دهره ، قد أوتى عبقرية شاملة لا يدرك شأوها ولا يلحق  
عبارها ، وذكاءً متوقداً لا يجارى ، وقلباً عقولاً لا يبارى ،  
وحدقاً حاداً لا ترام مساماته وفكراً نافذاً لا يمكن مجاراته ،  
وبصيرة قوية لا يجرى في مضارها

أما العناصر الوراثية فالدكتور من نسل آرى . والآريون  
يمتازون بدقة الفكر وسمو الخيال عن الشعوب الانسانية الأخرى .  
ثم الدكتور ينتسب إلى طبقة البراهمة منهم ، وهى طبقة قد  
سادت ولا تزال تسود بمحبة ذكائها ورجاحة عقلها وحصافة رأيها  
جميع الطبقات الاجتماعية الأخرى في الهند منذ آلاف من السنين ،  
فدقة الفكر وسمو الخيال بالقوة<sup>(١)</sup> عنصران وراثيان هامان في  
نفسية الدكتور وشعره

وأما العناصر الثقافية الكسبية فهى التى يكسبها الانسان  
بواسطة التربية والتعليم . فقد بلغ فيهما الدكتور رمة لا تسمى  
ومنزلة لا تتغلب ، إذ تعلم في معاهد الشرق والغرب ونال منها  
أرقى الشهادات وأعلاها بالتفوق والامتياز وهضم الثقافتين  
- الشرقية والغربية - في معناهما الحقيقي . فهو على اطلاع تام

(١) يرى معظم علماء النفس والتربية أن الصفات الوراثية توجد في  
الطفل بالقوة لا بالفعل أى على شكل استعدادات واتجاهات